

البيان

لما سارت عليه الدعوة

في مسجد الرحمن بصنعاء

وما حصل عليها من البغي والعدوان

كتبه:

عبد الرقيب بن علي بن أحمد الكوكباني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

فيقول ربنا في كتابه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، ويقول: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، ويقول الله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

وكان من دعاء رسول الله ﷺ الذي علمه أصحابه: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، فأنا أتأول هذا الحديث حال شرحي للدعوة في جامع الرحمن بصنعاء، حي شميلة، حارة الرحاب، والتي قمت - بفضل الله ومنته - بها بإرسال من شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري والتي دامت سبع سنوات وأنا أستلهم الله رشدي في بيان الأمر على واقعه بغير وكس ولا شطط.

• البداية

كان وصولي إلى جامع الرحمن في التاسع والعشرين من شهر شوال لعام ١٤٢٤ هـ وكنت ذاهباً لغرض العلاج في صنعاء فطلب مني شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري أن أسد الفراغ في هذا المسجد حال بقائي في صنعاء ريثما يرسلون أخاً للقيام بالدعوة لأن الأخ الذي كان قبلي في المسجد أحب أن يرجع إلى دماج فامتثلت أمر الشيخ حفظه الله وبقيت في هذا المسجد فترة العلاج وكان الشيخ محمد بن صالح الصوملي وفقنا الله وإياه وهو الناظر على هذا المسجد وبصائر المسجد بيده في الحج.

فلما وصل سمع بعض إخوانه يثني خيراً فأحب بقاءنا ثم علم بعد أشهر أنني لا أتقاضى مصروفاً من أحد فاستدعاني واعتمد لي في الشهر مبلغ اثني عشر ألفاً يمينياً، فجزاه الله على ذلك خيراً.

فتعرف الناس على المسجد عندما سمعوا بالخير الذي فيه من الدروس العلمية بعد كل صلاة مكتوبة وكان يرتاد مسجدي للدروس بعض طلبة العلم ومنهم أئمة مساجد حولنا. منهم الأخ / مهدي الريمي، إمام جامع الرحاب، والأخ / عبده الريمي، إمام مسجد شميلة، والأخ / حسين العكاد رحمه الله إمام مسجد مصعب، والأخ / عبد الملك الريمي إمام مسجد صلاح وغيرهم والفضل في هذا الله.

• بعض زوابع الحزبيين

عندما بدأ المسجد ينتعش بالعلم الشرعي والدروس العلية أقصّ هذا مضاجع الحزبيين في الحي ومنهم الحزبي عبد الله حمود الجاح وهو عضو مجلس النواب وجار المسجد فكان يجمع الناس في ديوان منزله على الشجرة الأثيمة «القات» ويتدارسون قضيتي في المسجد من النواحي التالية:

١. أنني لا أتيح المجال لأهل البدع في المسجد وإن تكلم أحد منهم عقبته على كلامه بما يجعله كاسف البال والحال.

٢. أنني أؤخر صلاة العشاء عن مساجد الشيعة المستعجلة وكذا نقدم أذان المغرب عما اعتاده الشيعة، حرصاً على إيقاع الأذان في وقته بعد غروب الشمس.

٣. أنني متميز عن الحزبيين في الحي جداً ولا أرضى بالاندماج معهم في كل المجالات الاجتماعية عدا الصلاة المكتوبة في المسجد فإن من طبيعة مساجد المدن أن يصلي فيها الناس من أهل الحي.

٤. أنني أذكر في الدروس بعض الشخصيات من أهل البدع والتحزب وأتناول نقدهم بالبرهان والدليل. والأمر كما قيل:

إذا محاسني اللاتي أدل بها صارت عيوباً فقل لي كيف أعذر

فجعلوا من هذه النقاط قضية يسعون من وراءها لإخراجي من المسجد فكانوا يجمعون بعض توقيعات أهل الحي لإخراجي من المسجد ويرفعونها إلى الشيخ محمد بن صالح الصوملي كون أوراق المسجد بيده، وعندما كان

يسمع النقد منهم وهو يعلم أن الدعاة إلى الله ينالهم هذا الأذى من الحزبيين وأهل البدع في كل مكان فكان يقف أمامهم قائلاً: «من أحب أن يصلي في هذا المسجد فحيهلاً به ومن لا يحب ذلك فليبحث عن مسجد آخر» وشكر الله له ذلك الصنيع^(١) فإني تعلمت في مراكز العلم أنه من الحكم الماثورة عن رسولنا الكريم أنه «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» وكان الحزبيون يواجهوننا بألوان من الأذية منها التهم ومنها التهجم بصعاليكهم إلى المسجد بقصد الاشتباك والفوضى ولكنهم بحمد الله وجدوا صموداً فخارت عزائمهم واستسلموا لواقع الحال مع الأيام لاسيما والدروس المتتابعة في المسجد بعد كل صلاة قد عملت فيهم تحديراً عن الأذية وكان يبلغني عن بعض عوام الحبي الذين آذونا أنهم يقولون هذا شاب مقبلاً على التدريس والتعليم اتركوه وشأنه لا تصيبكم منه دعوة.

• بدايات زوابع الحزب الجديد – حزب عبد الرحمن العدني:

كان بجانبنا مسجد يقال له مسجد مصعب بن عمير كنت ألقى فيه درساً أسبوعياً وإمام مسجده المتوفى يرحمه الله كان طالباً عندي وطلاب المسجد كانوا يترددون عليّ للدراسة وبيننا الاحترام والود.

فجاءهم رجل يقال له ناصر البيضاني يتظاهر بالمسكنة والهدوء وهو حية رقطاع وكان هذا الحزبي الخبيث^(٢) لا تعجبه طريقتنا في التصفية والتميز. واندس في حلقتنا وبدأ يجلس مع بعض الشباب على انفراد ورأيتة كلما جلس مع شاب في الحلقة تغير ذلك الشاب بما يلقنه هذا المشؤم في سمعه من الوسوسة وأصبح يهاجم الطلاب الثابتين ويترك الدرس ثم يصطاد طالباً آخر فلما رأيت أنه عضو فاسد في الحلقة كتبت إليه ورقة بانه لا يحضر حلقتي^(٣) وفي تلك الأيام جاءني عبد الرحمن بن هيثم اليافعي فجعل يتودد إليّ أن أرسله إلى جامع مصعب عن طريق شفاعته له إلى الشيخ العلامة الحجوري كي يأذن بذهابه إلى هذا المسجد ففعلت وذهب إلى ذلك المسجد وكان يأتي يتودد إليّ أن أشفع له إلى بعض أهل الخير في بناء سكن له في المسجد ففعلنا والله الحمد وحذرته أنا والأخ محمد السوري من تلك الشلة الضائعة – ناصر البيضاني – وضحاياه فكان يقول لي: «نعم يا أبا عبد الرحمن قد عرفتهم وأنأخذهم عمالاً عندي في بناء الشقة ثم أتركهم»، فأخذناه بالظاهر ولم أكن أعلم أن الأمر كما قيل «الطيور على أشكالها تقع».

كان هذا اليافعي الخبيث قد أخذ السم الزعاف من فكرة عبد الرحمن العدني وجاء محملاً بالعدوى إلى هذا المسجد فوافق من على شاكلته فلما تمكن من السكن في المسجد وعرفناه بالفضلاء من أهل الحي بدأ ينفث سمومه في تربة خصبة ومعه ناصر البيضاني وشلته – ثم صاروا يهاجمونا إلى مسجد الرحمن ويرموننا بالأقوايل الكاذبة ويتفننون في أذيتنا وكان عبد الرحمن اليافعي يقدح فينا ويشني على الشيخ يحيى تحصناً ريثما يتمكن أكثر ثم طلبوا منا جلسة مع الشيخ الصوملي والشيخ جميل الصلوي وشكوا إليه طردنا لناصر البيضاني فاجتمعنا وبيننا ما عندنا

(١) وكان ذلك الصنيع منه قبل أن تتوتر العلاقة بسبب فتنة عبد الرحمن العدني وفتنة الوصابي.

(٢) وسل عن هذا الخبيث الإخوة الثابتين في البيضاء، ينبئونك عن حاله وهو من أهل منطقة الهجر في البيضاء.

(٣) وكان قد جمع له بتلك الوسوس بعض طلاب مسجد مصعب الذين يترادون حلقتنا وقد صاروا الآن في عداد الضائعين

بالقرائن الجليلة، فأصر الحكمان على طلب الشهود في القضية فأحلنا على بعض من غرّر بهم ناصر البيضاني فأنكروا وجحدوا وكابروا والله يعلم المفسد من المصلح، والصادق من الكاذب، فقلنا حسبنا الله ونعم الوكيل، فخرجنا من الجلسة ولزمنا هجرهم وما هي إلا أيام حتى صار عبد الرحمن اليافعي وأصحابه ينفثون سموهم علانية بالطعن الشنيغ والثلب بالباطل في شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري وقد جمعت طعون عبد الرحمن اليافعي في الشيخ يحيى الحجوري فجاوزت مائة وعشرين طعناً وكفى الله أصحاب جامع الرحمن بيان عوار المفتونين في جامع مصعب وصاروا كالذين يخربون بيوتهم بأيديهم والله الحمد.

وساءت أحوالهم إلى حد لا يكاد يصدق والواقع خير شاهد.

إلا أن الأمر المؤسف أن الشيخ محمد بن صالح الصوملي وفقنا الله وإياه كان يمتنّ علينا بجلسة أصحاب مصعب وأنهم كانوا يتقدوننا وأنه دافع عنا^(١) فقلت له يوماً: «انظر كيف مكروا بنا وتستروا ثم فضحوا شر فضيحة». وكتبت تلصصات عبد الرحمن اليافعي الدعوية في قصيدة كبيرة شهيرة للأخ حمود البعادي وكفى الله المؤمنين القتال.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

بعد أن قام شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله ببيان فتنة عبد الرحمن العدني أحسن البيان وأتمه، أخذنا الملازم والأشرطة وقرأنا عن الفتنة جيداً فأخذنا تديناً بقول الشيخ العلامة يحيى الحجوري من القول بحزبية عبد الرحمن ونحن غير منشغلين بالفتنة إنما نعطيها قسطاً على الطريق فكنا نحرص نحن وإخواننا على الدروس العلمية وفي الوقت نفسه لا نتجاهل فقه الفتن والشُرور، خلافاً لما يفعله كثير من المغفلين الذين يرون أن التبصر في الفتن فيه ضياع الوقت وتأجيج نار الفتنة.

فنحن بحمد الله على ما عُرِف عنا عند أهل السنة الصادقين من صفاء المنهج كنا أيضاً نعطي الدروس العلمية حقها فإليك الدروس العلمية التي أَلقيت في جامع الرحمن للرجال والنساء:

١. العقيدة: (الأصول الثلاثة - نواقض الإسلام - القواعد الأربع - تطهير الاعتقاد - لمعة الاعتقاد - الدر النضيد - القواعد المثلى - الواسطية - فتح المجيد - الطحاوية).

٢. التفسير: (مختارات من السور والأجزاء كالعشر الأخير والكهف ويوسف والفتح والنحل و...).

٣. الفقه: (بلوغ المرام بجميع أبوابه، وكذا العمدة للمقدسي).

٤. النحو: (التحفة - الملحة وغيرها).

٥. المواريث: (الرحبية - الرائد).

(١) وفي الواقع أنه كان ممن وقف ضدنا في تلك الجلسة وبعدها، بل كان يستقبل عبد الرحمن اليافعي ويدعوه إلى الغداء بعدما أخرج عبد الرحمن اليافعي أقواله البائرة في الشيخ يحيى الحجوري، وقد أُعطيت للصوملي هذه الطعونات فما بالي بذلك.

٦. المصطلح: (البيقونية - الباعث).

ولنا بحمد الله ردوس عامة مثل صحيح مسلم والجامع في القدر للوادعي ورياض الصالحين والأدب المفرد والصحيح المسند للإمام الوادعي وغيرها.

وقد تخرج نخبة طيبة من طلبة العلم وذهبوا إلى دار الحديث بدماج، وكذا تخرج ما لا يقل عن عشرين من خطباء ومحاضرين وأئمة مساجد والفضل لله.

ولكن مع هذا كله لم نكن مرضيين عند بعض الأفاضل^(١) والسبب في ذلك أن موقفنا في الفتنة الأخيرة هو موقف الشيخ العلامة الحجوري.

• سياسية الشيخ الصوملي في الجزء من جنس العمل

علم الشيخ محمد بن صالح الصوملي موقفه في الفتنة الأخيرة واستقامي للمشايخ المعروفين لديّ بثباتهم في الفتنة الأخيرة من طلاب دار الحديث السلفية بدماج وغيرها، إلا أنه كان يريني منه ما أرى على قسما وجهه إذا جلست معه ، وكان ربما قال: ينبغي أن نتشاور في الأمور الدعوية، وقد علمت ما الذي يقصده وأكد في نفسي ذلك أني اتصلت يوماً بعبد القادر الصوملي وقلت له : أبلغ والدك هذه البشري يا عبد القادر أن الله فضح أصحاب مسجد مصعب بن عمير بالطعن في دماج وفي الشيخ العلامة الحجوري بعدما تستروا زمناً طويلاً واذونا وكانوا يتظاهرون بالخير عند الشيخ الصوملي.

فقال: جزاك الله خيراً سأبلغه وأنصح لك يا أخ عبد الرقيب أن تقترب من والدي وتشاوره في من تستقدمه إلى المسجد فتقول على سبيل المثال هل ترى بأساً بفلان يا شيخ أم لا، فعلمت القضية على وجهها والحمد لله.

ولما لم ير الشيخ محمد الصوملي مني رجوعاً إليه في استقدام المحاضرين الأفاضل الوافدين من دار الحديث بدماج - والسبب في ذلك أني خشيت أن يمنع هؤلاء الأخوة بسبب تصريحاتهم ونصحهم عندنا في المسجد بما يتعلق بقضية الحزب الجديد ، فأكون حينها قد حرمت إخواني من الخير والدعوة عندي، ثم أني اعتدت مسبقاً بإلي من الصلاحية في المسجد أن لا أرجع إليه في هذه المسألة - . فبدأ يرسل إلينا الدعاة المتكلم فيهم جزاءً وفاقاً - أي في نظره - فكان يرسل إلينا من المفتونين المتعصبين لفتنة العدني والوصابي القليبي وكذا المحمدي صاحب الحديدة، و عثمان السالمي، والعجيب في ذلك أنه يرسلهم للخطبة في مسجدي وأنا سلطان المسجد والنبي ﷺ يقول: «ولا يأمن رجل رجلاً في سلطانه ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه»^(٢). قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: «معناه ما ذكره أصحابنا وغيرهم أن صاحب البيت والمجلس وإمام المسجد أحق من غيره، وإن كان ذلك الغير أفقه وأقرأ وأورع وأفضل منه وصحاب المكان أحق إن ساء تقدم وإن شاء قدم من يريده وإن كان ذلك الذي يقدمه مفضولاً

(١) كما سيأتي بيانه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٦٧٣)، من حديث أبي مسعود البصري رضي الله عنه.

بالنسبة إلى باقي الحاضرين لأنه سلطانه فيتصرف فيه كيف شاء» اهـ، والشيخ محمد الصوملي يأنف أن يرفع الساعة ويتصل بي ولا أشعر وأنا نازل إلى الخطبة في المسجد إلّا وأحدهم يطرق الباب فيقول: الشيخ الصوملي أرسل خطيباً، فأصل إلى المسجد وقد صعد الخطيب على المنبر ويأتيني الأخوة في المسجد قائلين: يا أبا عبد الرحمن هذا الشخص متكلم فيه، فأقول: ماذا نعمل؟

• أساليب ذكية في إخراج الدعاة من مساجدهم:

لما ظهر حال الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي بكلام الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري فيه بحق وحجة وبرهان، والشيخ محمد بن صالح الصوملي يدافع عن الوصابي بكل ما أعطي من قوة مع ما علم من أخطاء الوصابي التي راجت بين الناس، نُسقت للشيخ الوصابي محاضرة في مسجد الخير بصنعاء ومن ثم قام الشيخ محمد بن صالح الصوملي بطلب من المشايخ التقديم له وإعلان كلمة له في جامع الرحمن ومحاضرة في جامع شرقين، وإمام مسجد شرقين آنذاك هو الشيخ عدنان المصقري حفظه الله، فأما هو فممنع المحاضرة وطلب من إخوانه في المسجد رفضها، لأن الشيخ الوصابي مدان بقضايا أبرزها عليه أهل السنة وعلى رأسهم الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري ولم يبد الشيخ تراجعاً أو توبة مما صدر منه ومع هذا يُرمى به في مساجد السنة التي يؤمها من ينكر بكل وضوح فتنته فإن قام من يعترض بحق على بعض كلماته الفاتنة انتقده من لم يعلم ما عليه الرجل من الجموع الغفيرة (وكذلك يفعلون).

فكان ضحية هذه الدبلجة العجيبة الوافدة على الدعوة السلفية جهود أخينا الشيخ عدنان المصقري، فإنه بعد منع الشيخ الوصابي من المحاضرة، قام بعضهم بإثارة حفيظة الأخوة أبناء شرقين على أخينا عدنان بعد أن كانوا حريصين على بقاءه لما حصل من النفع العلمي به والتفاف الطلاب حوله في ذلك المكان، وفي الحال تمّ إقصاؤه من مسجده وإبعاده عن طلابه وأتوا له بمعمر القدسي على مرادهم في الطريقة زائداً عبد الرحمن حمزة بنفس الأسلوب وأشد فنفر نصحاء أهل السنة من طلاب العلم وغيرهم من العوام من مسجد شرقين وذبلت زهرته وضاعت ثمرته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأما أنا فتركت المسجد له وذهبت جمعاً بين القولين على أقل تقدير فلم يعجب هذا الصنيع القوم لأنهم كانوا يريدون مني ما صنع أخونا عدنان حتى يكون الطرد عاجلاً ولكن بصنعي هذا حصلت زوبعة كبيرة في مسجد الخير فمن الناس هناك من يهدد بأني إذا لم أعذر للشيخ الصوملي عما صدر سيأتي ويسحبني على وجهي ومنهم من يقول: سيُحدث فتنة في جامع الرحمن إن لم أتب من هذا الإجماع في زعمهم ومنهم ومنهم...

فأدرك الحملة عليّ صهراي: ١. عمي علي بن حسين، ٢. عمي سعد بن حسين (ابو زوجتي) فجلسا مع الشيخ الصوملي وقالوا له: نحن نكفيك أمر صهرنا إن شئت أن يبقى بقي وإلا قلنا له ينصرف ولسنا راضين عن أحد يؤذيه فإنه صهرنا. فأبدى لهما تألمه من صنيعي وملاً قليبيهما على الشيخ يحيى الحجوري بكلام بهت^(١).

فجاء إليّ صهراي وطلبنا مني بعد محاضرة الوصايي بيومين أن أحدد موقفني بصريح العبارة: إن كنت مع المشايخ فحيّلا بك في المسجد وإن أردت طريقة الحجوري فخذ فراشك وانصرف عن المسجد بدون إحداث فتنة فإننا لا صبر لنا على أحد يؤذيك ونحن نشاهد.

فحاولت أن أعلم هل أرسلهما إليّ الشيخ الصوملي فأما عمي سعد فقال جئنا من عند الشيخ الصوملي وقال: اكفونا الأخ عبد الرقيب فقال: نحن نكفيك يا شيخ. فاستشرت الشيخ يحيى حفظه الله ماذا أصنع في الحالة الراهنة فأشار عليّ بالمداواة حفاظاً على الخير الذي حققه الله في المسجد وأن لا اصطدم بالشيخ الصوملي حتى لا يذهب المسجد. ثم أخبرني شيخنا يحيى حفظه الله أنه اتصل بعبد القادر الصوملي وقال له: قل لوالدك لا يؤذ طلابنا، أو ما أشبه ذلك.

ومن ثم بقي الشيخ الصوملي متألماً مني وغير راضٍ عن طريقتي وأنا قائم بالدعوة في المسجد على خير ما يرام والله الحمد وأنا أعلم ذلك منه من خلال تصرفه معي وكنت في رمضان عام ١٤٣٠ هـ على سفر إلى العمرة بأمر والدتي لأكون لها محرماً فذهبت إلى الشيخ الصوملي لكي يخلفني بطالب علم يقوم بالصلاة والتدريس في المسجد ظاناً أنه سيرسل إلينا من الدعاة الأثبات - في نظري - كما فعل في حج موسم ١٤٢٨ هـ إذ ذهبت إلى الحج فأرسل إلينا الأخ صالح العامري البيضاني - من الأخوة الأثبات - لكنه في هذه المرة أرسل إلينا رجلاً متردياً جداً فكان هذا لي ولطلابي بمثابة الصدمة القوية وهو المدعو «جار الله السدي» وهذه أخباره باختصار:

١. مطرود من دماج في زمن الشيخ مقبل بشهادة الشيخ عبد الحميد الحجوري وغيره.

٢. يغمز في الشيخ يحيى الحجوري بشهادة الأخ محمد السوري.

٣. أثار عنه مضغ الشجرة الأثيمة القات مدعياً حلها ومستندلاً بأقوال الشوكاني وكان يوضع هذا العلف في مركز معبر بشهادة الأخ الهباري العميسي إمام جامع الرحاب بصنعاء.

٤. لا يتورع عن أكل اللحوم المستوردة من بلاد الكفار المذبوحة على غير الطريفة الإسلامية بعدما بينت له أنا والأخ معمر دحان حفظه الله حرمتها بفتاوى أهل العلم^(١) فأصر بعد سماع الفتاوى على إشباع شهوة بطنه بتلك اللحوم.

(١) حيث قال لهما: يا إخوان إن بعضاً من المشايخ في دماج يأتونني ويبيكون، قائلين: إن تكلم أحدنا بكلمة عارض فيها الحجوري فجزاؤه الطرد عاجلاً.

٥. وأخبرنا الأخ فواز القعواني حفظه الله: أن جار الله كان مع أبي الحسن ثم ذهب إلى معبر وجلس مع الضائعين، وما هو حول طلب العلم ثم ذهب إلى الإمارات وجلس فترة ثم رجع إلى معبر ثم ذهب إلى صنعاء من أجل العمل في الدنيا.

٦. مفتون بالحزبية الجديدة .

٧. طعنه في الشيخ الصوملي نفسه: فعندما كان الأخ عبد الحكيم العكاد في معبر اجتمع بجار الله فقال الأخ عبد الحكيم: الشيخ الصوملي مستشار أهل السنة ، فقال جار الله: دعنا من الصوملي، الدعوة تريد رجال، إنما كان يستشير الشيخ مقبل في أدوية مستشفى الثورة، وشهد هذا العكاد أمام الأخ عدنان الوصابي، وبعد ذلك أخبرت أن الصوملي طرده من مسجده.

٨. وقد أضر بالدعوة في مسجد التوفيق بعد ما كانت طيبة فكان يتماشى مع العوام فيما يريدون عندما كان يأتي عندهم في شهر رمضان فيلعب بصلاة التراويح ويطيل الدعاء جداً ويطعن في السلفيين بأنهم متشددون ويشير العوام عليهم مع أن إخوانه في هذا المسجد تعبوا جداً في إقامة الدعوة على خير ثم أفسدها هو كما أخبرنا بذلك شباب المسجد.

فما كان منا إلا أن صبرنا وأوصينا طلابنا باحترام الأخ لا لذاته ولكن احتراماً للشيخ الصوملي فما إن بدأ يصلي بهم التراويح في رمضان إلا ورأوا منه العجب، فيردون عليه خطأه في الآيات ولا يستجيب ويقفز من سورة إلى سورة مع أنه يقرأ نصف جزء^(٢) أو أقل، ولا يرجع إلى السورة التي كان فيها إلا بعد قراءة ثلاث آيات من سورة أخرى وفي يوم من الأيام أخطأ في أربع صفحات من سورة النحل "٢٣" خطأ فجاء في صلاة القيام من تلك الليلة وترك باقي سورة النحل عشر صفحات وقفز إلى سورة الإسراء محافظة على جمال الصورة أمام المأمومين وأين جماها وقد كان يخرج كل يوم بزنبيل من الخطأ (اللهم لا شأته) وفي إخواننا في المسجد حفاظ قرآن حفظاً طيباً مع سنة وحسن خلق.

وكان متعلماً في تدريسه ففي يوم من أيام رمضان وهو يدرس في الصيام سأله أحد طلابنا عما لو جامع الرجل أهله في نهار رمضان فكفر ثم جامع في نفس اليوم فانبرى قائلاً: هذه المسألة لم يتطرق إليها أحد من السلف ولا ذكرت في كتب أهل العلم، فبحثها الطالب فوجدها في المغني لابن قدامة ثم أطلعه عليها فذكرها - المتعالم - جار الله في اليوم الثاني مضيفاً الفضل إلى نفسه فقبح التعالم ومن لبس قميصه المشين.

(١) أو على أقل تقدير كونها موطن شبهة، وللأخ يحيى الديلمي فيها رسالة بعنوان "الأقوال المسددة في حكم الذبائح واللحوم المستوردة" أبان فيها حرمة تلك اللحوم بتقديم شيخنا الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله والشيخ محمد الإمام وأيدها على القول بتحريمها.

(٢) ونحن نصلي بهم في رمضان لكل ليلة جزء، ونختم القرآن بحمد الله.

• وبعد هذه العجائب، جلسة للتحقيق بين يدي الصوملي:

لم نسلم من الدعوة إلى التحقيق معنا عند الشيخ الصوملي بحجة أن طلابنا أساءوا إلى الأخ/ جار الله وأنهم غير مؤدبين وبدأ الشيخ الصوملي يتدخل في القضايا الداخلية لجامع الرحمن التي هي تحت سلطاني تدخلاً واضحاً كتقديمي للأخ أبي هريرة صلاح الصديق^(١) في بعض الصلوات المكتوبة بحجة أن هذا افتئات عليه فأصرّ عليّ أن أصلي بالناس أنا فإن كنت بحاجة إلى التعاون أخبرته وهو يأتي بأخ من قبله فقلت له:-

أولاً: أنت قد قلت لي بلسانك يوماً أنا أعطيتك الصلاحية في جامع الرحمن ولذلك لا تراني أتردد عليك إلى مسجدك فافعل ما يقربك إلى الله. وقد خالف هذا الصوملي بأفعاله كما تراه.

ثانياً: ما هي الحجة التي بها أستطيع أن أزحج الأخ أبا هريرة من الإمامة وصوته من حيث النداءة أحسن مني وإنما قدمته مراعاة للمأمومين، فأجابني قائلاً: أخشى أن ينقلب عليك في يوم من الأيام، كما انقلب طلاب الشيخ عبد الرزاق النهمي عليه. فقلت له: من حينه نتكلم وأما الآن فالرجل على خير ولا داعي لاقصائه فإن بدرت منه بادرة فأنا سلطان المسجد، فغضب مني الشيخ الصوملي قائلاً: ليس لك التدخل في هذه القضايا قضية تقديم إمام في الصلاة وتسكينه في غرفة في المسجد راجعة إليّ. وحرّض الحاضرين في الجلسة على هذه النقطة بالذات، وقال: لا أقبل منك هذا أبداً، فقلت له: يكون خيراً إن شاء الله.

فذهبت والأسى يملأ قلبي متساءلاً: إذا كنت سلطاناً في مسجدي في الحق في ذلك والشيخ الصوملي له الحق في أن يطلب مني البقاء أو الانصراف فلا يتدخل في سلطاني ثم علمت السر في إصرار الشيخ الصوملي على إقصاء أبي هريرة. وهو أنه بلغه أن الأخ أبا هريرة أقوى من الأخ عبد الرقيب في قضية عبد الرحمن العدني فقلت يا شيخ كيف أصنع وما هي حيلتي في إقصاء الأخ أبي هريرة فقال: لك أن تأخذ بعض الصلوات الجهرية وتقول له نتساعد. ففعلت ذلك ووجدت رحابة صدر عند أبي هريرة فإنه علم أن الصوملي طلب ذلك فكان يصلي الفجر فقط على استعداد منه في ترك جميع الصلوات.

• الصوملي وقضية ماطور الكهرباء

بينما نحن في معاناة شديده في انطفاء الكهرباء في مسجد الرحمن، يسر الله عز وجل رجلاً أوقف ماطور كهرباء للمسجد عن طريق الأخ الفاضل: عبده الريمي، إمام وخطيب مسجد شميله فقلت للأخ عبده أخبر بذلك الشيخ الصوملي فذهب الأخ عبده وأخبر الشيخ الصوملي فرفض الشيخ محمد هداة الله قبول الماطور بحجة أن هناك رجلاً يقال له محمد سعيد اليفرسي في حارة جامع الرحمن، قائم بكل ما يحتاجه المسجد فقلت: سبحان الله لقد عرف الشيخ محمد الصوملي أن الأخ يماطلنا في قضية الماطور بحجة أن الطلاب أحرقوا الخازن الذي في المسجد

(١) أخ فاضل من طلاب دار الحديث بدماج على خير ومتقن للقرآن وكان يتعاون معي في حلقة المسجد القرآنية ولا يطلب من أحد عطاء ولا نوالاً.

وليس هذا بصحيح منه على الطلاب والله على ما أقول شهيد، المهم أن الشيخ محمداً الصوملي يفتح أذنه لهذا الرجل المتقول علينا ويصدقه بينما يعطي إخوانه في جامع الرحمن الأذن الصماء فما كان مني إلا أن أخذت الماطور وأرسلت به إلى دار الحديث بدماج غير محدث فتنة، والله المستعان ثم رق لحالنا بعض الجيران وارسل إلينا دبة غاز مع الإتريك (المصباح)، كنا ندرس عليه عند انطفاء الكهرباء.

• الصوملي وتشوية صورة مسجد الرحمن عند المشايخ

١. عند الشيخ عبد الله بن عثمان الذماري: فقد زار الأخ سليم الصباحي وخالد الحداء وأسامة الوادعي الشيخ الذماري إلى بيته وطلبوا منه زيارة ومحاضرة في مسجد الرحمن فقال الذماري: مسجد الكوكباني؟ فقالوا: نعم، فقال: أنا أعرف عن هذا المسجد أشياء فلا أستطيع، فألحوا عليه، فقال مُحَرَّجاً: نسقوا مع الصوملي، وبذلك أحالنا على باب مسدود ومما يزيد الأمر تأكيداً:

٢. فقد زار الأخ أبو هريرة وخالد الحداء وأحمد الوحيشي ورائد الحبشي وأخوة، الشيخ الإمام فسألهم من أين جئتم فأخبروه أنهم من مسجد الرحمن فقال: أين مسجد الرحمن، فقالوا: في شميلة، فقال: الذي مشرف عليه الصوملي فيه الكوكباني أعرف ذلك وأنا على تواصل بالصوملي وأخبار المسجد عندي، وفي أثناء كلامه قال: قولوا له يهدأ ويترك الطيش فكثير ممن يحصل منه الطيش يكون مصيره مصير كثير من الإخوان^(١)، وذكروا له أنه ما عنده طيش فقال: طرد الشيخ الوصابي، الخبر عندي. فقال له أحدهم: ماطرده واسأل الحاضرين. فقال في آخر المجلس: بلغنا أنه على خير بلغوه سلامي وقولوا له يحافظ على دعوته ويترك الطيش. اهـ والطيش المعنى هنا لا أدري ماهو غير أنني أحذر من الحزبية الجديدة.

• الصوملي وتهميشه إيانا

فقد مكثت في هذا المسجد سبع سنوات ولم يرفع سماعته إليّ في أي أمر من أمور المسجد، إنما يسمع أخباراً من الناس بين الحين والآخر ثم يجرنا إليه للتحقيق، وإذا أرادنا لأمر من الأمور أسند هذا إلى بعض العوام، يخبرني بذلك مع قرب المسافة بيني وبينه.

وفي هذه السبع السنين ما سألنا يوماً ما: هل تحتاجون شيئاً للمسجد أو كتباً للمكتبة، وإنما نرى منه في هذه الفترة التهميش والإزدراء وعنده إساءة ظن بطلابي كما حصل مع أبي هريرة وكذلك مع أبي بكر السعيداني إذ لا مني لوماً شديداً على تقديمه في الصلاة إماماً بحجة أنه مدرس في مدرسة حكومية - غير اختلاطية - وهو من أفاضل طلابي في مسجد الرحمن ويشهد الجميع له بذلك، ولم أكن أقدمه للإمامة إلا أحياناً، وكما حصل في الجلسة الأخيرة عندما ذهب إليه أهل الحارة فكان مما ذكر أن طلابي أساءوا الأدب مع جار الله وعملوا وعملوا

(١) وهذا تعريض بما حصل للأخ عدنان المصقري، لأن هذا اللقاء بعد الذي حصل للأخ عدنان في مسجد شرقيين.

مع أن جار الله هو الذي أساء الأدب والأخلاق مع طلابي وقبل ذلك، وأما طلابنا فقد شهد لهم بحسن الأدب كثير من الدعاة في صنعاء وغيرها.

• الشيخ الصوملي يرسل «جار الله» للمرة الثانية، فهو سبب التحريش إذن:

وفي رمضان عام ١٤٣١هـ طلبت أُمِّي العمرة معها مُلِحَّةً عَلَيَّ في ذلك فقدمنا الجوازات. وقبل رمضان بيوم كنت عازماً حقيقة على أن يصلي بالناس طلابي الفضلاء وما كنت أحب الذهاب إلى الشيخ الصوملي بعدما فعل الذي فعل من إرسال الرديء «جار الله» وطلابنا أحفظ وأعلم منه، وأن هدي في أن يصلي بالناس طلابنا حتى يخرج الجواز مؤشراً ولا حيلة لنا إلا أن نستشير الصوملي بعد خروج الجواز ولعله يوافق على بقاء طلابنا في إقامة المسجد في غيابنا وهذه نيتي والله على ما أقول شهيد.

ولكن الصوملي ما إن علم أن طلابنا تقدموا في أول يوم من رمضان إلا وأرسل المدعو: جار الله، بدون اتصال فقال جار الله: قد علم الشيخ الصوملي أنك ستسافر للعمرة فأرسلني إليك. فقلت: حيها بك - إحتراماً للشيخ الصوملي - وصليت خلف هذا الإمام الرديء وأن له كاره ثمان ليال في رمضان وأنا أحافظ على جو السكينة في المسجد.

• ما قبل النهاية المرة

فلما سافرت قام جار الله يفرض عنجهيته في المسجد فمنع رجلاً من إخواننا أهل السنة أن يلقي كلمة في المسجد فتألم بعض الطلاب من صنيعه فقام جار الله يصيح ويقول: الذي يجب أن يحضر الدرس فليحضر وإلا فليخرج إلى خارج المسجد. فزاد الطين بلة فتشاجر مع طالب صغير ثم اعتذر له وكذا منع من الخطابة أخانا الفاضل يوسف العمراني^(١) وقد جاء يستأذنه والأخ أحمد الأحمدي.. وكان أيام بقاءه يهيج على طلابنا بعض أهل الحي ممن ينزل عندهم للضيافة والله المستعان فاستطاع أن يحقق بعض الفتنة على آخر رمضان بل قام ذلك السيء بخطبة جمعة ذكر فيها الحزبية ويقصد بذلك طلاب جامع الرحمن وينزل نصوص شيخ الإسلام ابن تيمية فيهم فما أشد جهله إذ رمى طلابنا بدائه.

وكان مقاول المسجد وهو الأخ محمد سعيد اليفرسي، هو الساعي أيضاً في استقدام جار الله لأغراض في نفسه الله بها عليم وهو أصلحه الله على ما أصف لكم من الهيئة:

١. حليق اللحية .

٢. مخزن.

٣. مدشدهش.

(١) وهو من طلاب دار الحديث بدماج.

٤. أشرطة أغاني الفساق في سيارته، علماً بأنني قد ناصحته مراراً حول ذلك فلم يتجاوب معنا.

٥. عليه ورقة التزام من عند الصوملي أن لا يتدخل في أي قضية من قضايا المسجد الدعوية - وإن أنكر الصوملي ذلك باهله - والتزامه موقع عليه في قسم الشرطة .

ففي يوم العيد قام المدعو محمد سعيد بحبس كرسي الدروس الذي أجلس عليه وإغلاق مكتبتنا التي ندخلها للاستفادة وأنا في بلاد الحرمين فأخبرت بذلك وقلت لأبأس الرجل تدخل فيما لا يعنيه فلا يضرنا ذلك، فلما رجعنا إلى صنعاء أخذنا كرسيًا وطاولة من بيتي ودرسنا حتى يستحيي من صنيعة ويصلح ما أفسد ولكنه على خلاف طبيعته تجلد بعد مجيئي ولم يفرج عن الكرسي والمكتبه وكان إذا اتصل به أحد بخصوص ذلك يقول: اشكوني إلى الصوملي^(١)!!!، بل قال: أرسلت المفاتيح إلى الشيخ الصوملي!!! فقلت الأمر سهل إن علم الصوملي سيزجره على هذا التصرف ويفرج هو عن كرسينا ومكتبتنا البريئين، وكان محمد سعيد في هذا الأسبوع مشغولاً بصياغة توقيعات وهدية ليرفعها للشيخ الصوملي حتى تتخذ سلماً للمقصود فواعجبه، بغني يعقبه بغني.

• الخاتمة (واكتمال الحكاية)

فما إن علمنا بعد صبر الصوملي أياماً حتى أرسل الصوملي عمي علي حسين يطلب من عمي سعد أن أنصرف من المسجد إن كنت أبتغي بعلمي وجه الله فقال له عمي سعد: من خاطب عبد الرقيب بهذا الخطاب فلن يرى مني إلا ما يسوءه فقال عمي علي: أمر بذلك الشيخ الصوملي إلا أنه لا يجب أن يكون في الصورة خشية أن يعلم بعض المشايخ ذكرهم وقال لعمي سعد: أسألك بالله اكتم عني ذلك.

فلم يستجب عمي سعد لذلك وإذا بالاتصال يأتي في الليل لعمي سعد من الصوملي: أن احضر إلي أنت والأخ عبد الرقيب، فلما جئنا من الغد بعد الفجر إذا بورقة التوقيعات بين يديه وذكر أن الحارة قد جمعت هذه التوقيعات وأرسلت بنسخة منها إليه ونسخة إلى وزارة الأوقاف، ونسخة إلى المجالس المحلية وصوّري الشيخ محمد هداة الله أن القضية صارت متأزمة جداً وإن تجاهلنا هذه التوقيعات فإن أهل الحارة عازمون على إحداث فوضى ومن ثم تتدخل الدولة بفرض إمام أزهرى ومن ثم نخسر المسجد فهذأت من روعه المزعوم وقلت له لا عليك يا شيخ محمد، هذه التوقيعات جمعها محمد سعيد وأنا أعلم ذلك وكثير منها أسماء مزورة ومستعارة وأبشرك أن الطمأنينة والسكينة تملأ المسجد ولا أرى من هذه الزوابع شيئاً^(٢) وقلت له: الأمر الأولي من ذلك أن يدعو محمد سعيد ويزجره على إغلاق المكتبة وسجن الكرسي ويأمره بإصلاح ما أفسد إلا أن الصوملي هداة الله أبى كل الإباء بحجة

(١) مما يدل على علاقة للصوملي بذلك، فإنه لا يتجرأ على فعل ذلك وقد التزم على نفسه.

(٢) ويؤيد ذلك أن أهل الحارة ذهبوا إلى الصوملي بعد خروجي من المسجد وقالوا من هذا الكذاب الذي أوصل إليك التوقيعات باسم أهل الحي ونحن أمامك، أعطنا توقيعا واحداً منا فأبى الصوملي وقال: ليس بيننا وبينكم شريعة ولا أحد يلزمني بذلك وما هذه المظاهرات التي تقومون بها!!! كل ذلك حفاظاً على محمد سعيد أن لا يفضح في مسألة التوقيعات الموهومة.

أبرد من إلية السَّقَا فقد قال: أخشى أن أفتح المكتبة ويحيي محمد سعيد فيغلقها ثم أفتحها فيأتي ويغلقها وتحصل حينئذ فتنة^(١)، فقلت في نفسي سبحان الله: ألم يؤخذ على محمد سعيد وثيقة التزام بعدم التدخل في جامع الرحمن فما بال هذا الخوف المزعوم عند الشيخ محمد.

فقلت للشيخ محمد: ما هو الحل في نظرك إن كنت ترى أن القضية متأزمة، قال: أشر عليّ أنت، قلت: الحل من عندك. فقال: بل من عندك، فقلت: أرى أن ترجع إليّ الكرسي السجين وتفتح المكتبة وتأمرني بالتدريس ما شاء الله حتى لا تتجارب مع التوقيعات في الحالة الراهنة حتى لا تجربئ السفهاء على الدعاة إلى الله ثم إن شئت أن تخرجني فأخرجني، فلم يرض بهذا الحل.

ثم قلت له: الحل حينئذ من عندك، فأبى فقلت له: ما بقي إلا أن أنحت لك حلاً من عرض هذا الجدار. ومعلوم أنه ينتظر مني التصريح بأني سأخرج من ذات نفسي حتى لا يلام على فعله الآثم لكنني أبيت ولزمت موقفي.

فبادرني بقوله: إن كنت ترى أن بقاءك أصلح في المسجد فأنا لا علاقة لي بالمسجد والمسجد لك وعليك وأي فتنة تحصل في المسجد فأنت المسئول الأول والأخير، فقلت: يا شيخ إن كنت قد ألت الجانب لخصومنا في الحي فلا نأمن غدرهم بنا وأين موقفك من التوقيعات الماضية، فاستشاط غيظاً وجعل يصيح عليّ.

ثم ألهم الله عمي سعداً بثلاثة أسئلة في ختام المجلس الذي دام ست ساعات، فقال: يا شيخ قد تعبنا من طول الحوار بلا فائدة، خلاصة الأمر ما يلي:

١. إن كنا قد أذينا في المسجد فتوب إلى الله وعليك أن تخرج الكرسي للشيخ عبد الرقيب وتفتح المكتبة ويدرس عبد الرقيب ما شاء الله، فغضب الصوملي هداه الله وقال لعمي متضجراً: رجعنا على ما كنا من قبل نتكلم فيه!

٢. فقال عمي: هل لك أن تتفاوض مع محمد سعيد لمدة ثلاثة أيام فتتظر هل بقي للقضية من حل، فغضب الصوملي وقال: رجعنا إلى ما كنا من قبل نتكلم فيه^(٢).

٣. فقال عمي سعد: هل معنى هذا أن الأخ عبد الرقيب ينسحب من المسجد، فقال الصوملي: نعم هو هذا. فأنطقه الله فإنه كان يريد ذلك على مدى ست ساعات وهو يراوغ والله على ما أقول شهيد، فقال عمي سعد: خيراً إن شاء الله وانصرفنا، وهذا والله عين الحقيقة والحاضرون شهود بعد شهادة الله عز وجل من فوق سبع سماوات. إخواني في الله هذا الشيخ الصوملي وفقنا الله وإياه بعد ما ذكرت لكم من البينات ينكر وبشدة أنه أخرجني من المسجد، ولكن عمي سعد شاهد عليه بذلك وهو من رفقاءه على مدى عشرين عاماً وأتحدى الشيخ الصوملي في

(١) وفي الواقع أنه كان ممن وقف ضدنا في تلك الجلسة وبعدها، بل كان يستقبل عبد الرحمن الياضي ويدعوه إلى الغداء بعدما أخرج عبد الرحمن الياضي أقواله البائرة في الشيخ يحيى الحجوري، وقد أعطيت للصوملي هذه الطعونات فما بالي بذلك.

(٢) وهذا يدل دلالة واضحة أنه من وراء القضية.

هذه الفترة أن يَأْثُرَ عنه كذبة واحدة ولكن شاء الله أن يُفْضَحَ الشيخ الصوملي لأنه بَغَى علينا وظلمنا. والقضية في ختامها تحتاج إلى تساؤلات:

١. لماذا التصريح بإخراجي ومعني شاهد ويميني، مقابل ورقة توقيعات مزورة.
٢. لماذا السكوت على تجرؤ محمد سعيد علينا بإغلاق المكتبة وحبس الكرسي ثم لماذا رفض أن يفتح لنا المكتبة ويرد الكرسي.
٣. لماذا طلب من صهري - عمي علي - أن يكتُم عنه طلب خروجي من المسجد.
٤. لماذا أخفى التوقيعات عن أهل الحي عندما ذهبوا إليه مغضبين يطلبون منه التوقيعات التي سبب إبعاد أخيهم ومعلمهم.
٥. اتصل رجال من ضباط الأمن في مديرية السبعين بالصوملي فقالوا لماذا أخرجت الشيخ عبد الرقيب من مسجده والدولة يهتمها بقاءه لما في ذلك من الخطابة النافعة لأمن البلاد وردع الفساد والتفجيرات، فقال: لست أنا وإنما هو محمد سعيد، فاتصلوا بمحمد سعيد فقال: لست أنا وإنما أخرجه الشيخ الصوملي، فما هذا التناقض البديع.
٦. قام بعض التجار الطيبين في مسجدي بعد صلاة الفجر وبعد خروجي من المسجد وخاطب أربعة صفوف من المصلين: هل فيكم من وقع على إخراج الشيخ، فلم ينس أحدهم بينت شفة، فقال أحد المنحرفين من أصحاب محمد سعيد - وهو عامر التعزي -: ما أحد وقَّع ولكن أخرجه الشيخ الصوملي لمصلحة الدعوة، فهذه تساؤلات والتأمل مع العَجَب والدهشة موكولاً إلى القاري الكريم والحمد لله رب العالمين.

كتبه :

أبو عبد الرحمن عبد الرقيب بن علي بن أحمد الكوكباني

يوم الخميس ٢٢ / شوال / ١٤٣١ هـ

في دار الحديث بدماج - حرسها الله -